مدارج السالكين

الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

www.markazalsalam.com
t.me/markazalsalam
+97150 8008875
info@markazalsalam.com
t.me/dropletsofdew
Al Salam Islamic Center

بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة إلا بالله

مدارج السالكين

23 أكتوبر 2023 | 08 ربيع الأول 1445 | الدرس # 50

المقدمـــة

دعاء

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ ومِلْءُ الأَرْضِ، وما بيْنَهُمَا، ومِلْءُ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بَعْدُ، أهْلَ الثَّنَاءِ والْمَجْدِ، أحقُّ ما قال العبدُ وكلُّنا لك عبدٌ، لا مَانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ.

سورة طه 25 – 28

رَبِّ اشرَح لي صَدري ﴿25﴾ وَيَسِّر لي أَمري ﴿26﴾ وَاحلُل عُقدَةً مِن لِساني ﴿27﴾ يَفقَهوا قَولي ﴿28﴾

- ونكمل مدارج السالكين بين، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وذكرنا أن {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، بها توحيد الألوهية {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، توحيد الربوبية، وهي ملخص كل القرآن.
- لُخِّص القرآن كاملا في الجزء المفصل وهذا الجزء المُفصّل لُخِّص في سوره الفاتحة في {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فهي منازل السالكين إلى الله.

- وذكرنا عن المنازل وهي:

1. منزلة اليقظة
2. البصيرة،
3. الفكرة،
4. العزم
5. الأنس
6. **المحاسبة**، وقال ابن القيم: "هي التمييز بين ما لَهُ وما عليه (يقصد العبد) فيستصحب ما له ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافر سفر من لا يعود".

منزلة المحاسبة

- فكي نضبط {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، يجب أن تكون بعد هذه المنازل الخمس "منزلة المحاسبة"، وأركانها:
- **أَنْ تُقَايِسَ بَيْنَ نعم اللهِ وَجِنَايَتِكَ**: نتيجتها أن تَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ رَبٌّ وَالْعَبْدَ عَبْدٌ، وَيَتَبَيَّنُ لَكَ حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَصِفَاتُهَا، وَعَظْمَةُ جَلَالِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَفَرُّدِ الرَّبِّ بِالْكَمَالِ وَالْإِفْضَالِ، وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلَّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ.

- **<u>التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا لِلْعَبْدِ وَمَا عَلَيْهِ</u>**: فَالَّذِي لَكَ: هُوَ الْمُبَاحُ الشَّرْعِيُّ، فَعَلَيْكَ حَقٌّ، وَلَكَ حَقٌّ، فَأَدِّ مَا عَلَيْكَ يُؤْتِكَ مَا لَكَ، ونكون من السابقين.
- فلا نُحرِّم ما لنا، ولا يكون الاختيار فيما علينا.
- **<u>الثَّالِثُ الرِّضَا بِالطَّاعَةِ وَالتَّعْيِيرُ بِالْمَعْصِيَةِ</u>**: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كُلَّ طَاعَةٍ رَضِيتَهَا مِنْكَ فَهِيَ عَلَيْكَ، وَكُلَّ مَعْصِيَةٍ عَيَّرْتَ بِهَا أَخَاكَ فَهِيَ إِلَيْكَ.
- "أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كُلَّ طَاعَةٍ رَضِيتَهَا مِنْكَ"، أي قمت بعباداتي ورضيتها، "فَهِيَ عَلَيْكَ"، رِضَاءُ الْعَبْدِ

بِطَاعَتِهِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، (وسوء ظنه باللّه (سبحانه وتعالى))، وجَهْلِهِ بِحُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ.

- فهنا استحسن العمل لنفسه ليرضيها، لعَدَمِ عَمَلِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَيَلِيقُ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.
- وهنا لن يحقق الهدف من العبادة وهو، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، لذلك نرى هناك من يدخل النار بسبب طاعة، وهناك من يدخل الجنة بسبب ذنب، لأن هذا المذنب قد يتوب ويستغفر فيدخل الجنة، وهذا الذي يقوم بالطاعات يُعجب بعمله ونفسه فيؤدي به للنار.

- نعمة من الله ورحمة أن يرينا عيوبنا وينسينا طاعتنا وأعمالنا، لأن الشيطان يحاول أن يدخل لنا من هذا المدخل (طاعاتنا)، فيرينا طاعاتنا وذنوب الآخرين، وهكذا تظهر أمراض القلوب.
- والحل هنا أن نتذكر طاعات الناس، وحسناتهم، وننسى ذنوبهم.
- "رِضَاءُ الْعَبْدِ بِطَاعَتِهِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، وَجَهْلِهِ بِحُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ وَحَاصِلُ ذَلِكَ أَنَّ جَهْلَهُ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتِهَا وَآفَاتِهَا وَعُيُوبِ عَمَلِهِ، وَجَهْلَهُ بِرَبِّهِ وَحُقُوقِهِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا رِضَاهُ

بِطَاعَتِهِ، وَإِحْسَانُ ظَنِّهِ بِهَا، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَجَبِ وَالْكِبْرِ وَالْآفَاتِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الزِّنَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ وَنَحْوِهَا، فَالرِّضَا بِالطَّاعَةِ مِنْ رَعُونَاتِ النَّفْسِ وَحَمَاقَتِهَا".

- لذلك الإحسان وإن كان قليلا أفضل أن يعتقد الإنسان أنه يحسن وبالنهاية هو يسيء لأن هدفه إرضاء نفسه.
- الملائكة يعبدون الله ولا يستكبرون، فنرى أنفسنا وعيوبنا وهذا من المحاسبة.

- لذلك لعلاج هذا نستغفر مباشرة بعد العمل، لذلك المنزلة التي تلي المحاسبة هي التوبة.

سورة البقرة 198

فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ

سورة آل عمران 17

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ

- قَالَ الْحَسَنُ: مَدُّوا الصَّلَاةَ إِلَى السَّحَرِ، ثُمَّ جَلَسُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلّ.
- كي لا يصابوا بالعجب.

- وكان النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِغْفَارِ بَعْدَ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ.
- وفِي آخِرِ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}. عمل كبير هنا لكن الرضا والقبول يكون من الله، ولكن إن رضيت بعباداتي فهي علي أي لا أجر ولا حسنات.

- وما سبق جزء والجزء الثاني، "قوله: وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ عَيَّرْتَ بِهَا أَخَاكَ فَهِيَ إِلَيْكَ."، مثلا أعيب صلاتهم فأُبْتَلى بما عيرتهم به خصوصا في المعاصي، مثلا أقول فلان يغتاب، لابد وأن أفعل فعله، وإن كانت النية ليست شماتة.
- وأن نعير بالدنيا هذا أقل من أن نعير أحدا بمعصيته، وهذا يحتاج للتقوى.
- وَقَوْلُهُ: وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ عَيَّرْتَ بِهَا أَخَاكَ فَهِيَ إِلَيْكَ. يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ: أَنَّهَا صَائِرَةٌ إِلَيْكَ وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَهَا، وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي

جَامِعِهِ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ.

- أو أعير غيري بالتبرج، أو عمليات التجميل.
- فالمحاسبة إن كانت عن طاعة قمت بها فإن رَضيتُها هي علي، وإن عيرتُ غيري بذنب فهي إلي.
- فلا أتعدى على الناس بالحكم عليهم ومحاسبتهم وتعييرهم.
- وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ: أَنَّ تَعْيِيرَكَ لِأَخِيكَ بِذَنْبِهِ أَعْظَمُ إِثْمًا مِنْ ذَنْبِهِ وَأَشَدُّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لِمَا فِيهِ مِنْ صَوْلَةِ

الطَّاعَةِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَشُكْرِهَا، وَالْمُنَادَاةِ عَلَيْهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ، وَأَنَّ أَخَاكَ بَاءَ بِهِ.

- وَلَعَلَّ كَسْرَتَهُ بِذَنْبِهِ، وَمَا أَحْدَثَ لَهُ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مَرَضِ الدَّعْوَى، وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ.
- لذلك ننسى الطاعات ونستغفر بعدها، وإذا رأينا من يرتكب المعاصي نقول، "الحمد للّه الذي عافانا مما ابتلاك به"، وندعو له بالهداية، ولا نعايره.
- وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُقِمْ عَلَيْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ أَيْ لَا يُعَيِّرْ، مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} فَإِنَّ الْمِيزَانَ بِيَدِ اللَّهِ، وَالْحُكْمَ لِلَّهِ.

- فلا نعاتبهم، فالعتاب عَدَّه العلماء من كبائر ذنوب اللسان، فهناك البديل وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن العتاب قاتل.
- فَالسَّوْطُ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ هَذَا الْعَاصِي بِيَدِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، وَالْقَصْدُ إِقَامَةُ الْحَدِّ لَا التَّعْيِيرُ وَالتَّثْرِيبُ، وَلَا يَأْمَنُ كَرَّاتِ الْقَدَرِ وَسَطْوَتَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ.

سورة محمد 19

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ

- في فتح مكة النبي (ﷺ) كان يستطيع ان يعيرهم، ولكنه قال لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء.
- أي لن أعيركم بذنوبكم.
- ومن أسماء الله التواب، الغفور، والودود، والله يفرح بتوبة عبده فلا يُذَّكره بها، وكم نذنب، ولما نتوب لا يعيرنا الله انما يغفر لنا ذنوبنا ويستر عيوبنا

هو الستير التواب يفرح بتوبة عبده، فلماذا نعير غيرنا؟ ولا نحب من يعيرنا!

- موسى (عليه السلام) لام آدم وقال "بسببك نزلنا الأرض"، فقال آدم "لما تعيرني بشيء كتبه الله قبل خلق السماوات والأرض؟".
- فرعون عيّر موسى (عليه السلام):

سورة الشعراء 19

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

- فلا نُعيِّر أحدا وخاصة الأبناء.

- فالميزان والحكم بيد الله، وهو مقلب القلوب فلا نُعَيِّر أحدا، ولا نأمن من مكر الله وتقلب الدنيا لذلك طاعاتنا لا نرضى بها بل ننساها، ولا نُعيِّر الناس بعيوبهم إنما نسأل الله العافية.

اللهم أعننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. آمين يا رب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المصادر

- مدارج السالكين - ابن القيّم

مصادر اضافية

<u>للاستماع للدرس – للنساء فقط</u>

https://vimeopro.com/markazalsalam/path-of-the-traveller-ar

لطلب الاستماع للدرس:

https://markazalsalam.com/recordings-notes

<u>الدروس السابقة في قناة تلغرام- هذه القناة لنساء والرجال</u>

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

https://t.me/markazalsalampublicationsENG

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

https://t.me/markazalsalampublicationsAR

مدونات الدروس للأطفال

https://t.me/dropletsofdew

للمبتدئين في الإسلام

https://t.me/truthfulentry